

التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة.

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾.

أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين ﴿فِينَا﴾ في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً ﴿لنهديهم سبلنا﴾ لنزيينهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (2) وعن أبي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهديهم إلى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم ﴿لمع المحسنين﴾ لناصرهم ومعينهم وعن رسول الله ﷺ من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين (3).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم مكية

الرَّ ١

القراءة المشهورة الكثيرة.

عَلَيْهِ الرُّومُ ٢

﴿غلبت﴾ بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم.

فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣

والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام، أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه أي: في أدنى أرضهم إلى عدوهم قال: مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين، وقرئ في أداني الأرض والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي وقيل: احتربت الروم وفارس بين أنزعات وبصري فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة فشق على النبي ﷺ والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب، وفرح المشركون وشمتموا وقالوا: أنتم النصراني أهل الكتاب ونحن وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم: أبو بكر رضي الله عنه لا يقرّر الله أعينكم فواش لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له: أبي بن خلف كذبت يا أبا فصيل

بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة نريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع، التلذذ وأن تكون لام الأمر، وقراءة من قرأ وليتعموا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (1).

فإن قلت: كيف جاز أن يامر الله تعالى بالكفر، وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه؟ قلت: هو مجاز عن الخذلان والتخليية وإن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر، وعنتك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم، فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإياء والتصميم حررت عليه وقلت: أنت وشأنك، وأفعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والأمر بالنشيء مرید له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له: فإذا قد أبيت قبول النصيحة فانت أهل ليقال: لك أفعال ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا مَنَا وَنَحْنُ نَحْنُ الْبَاطِلُ مِنَ حَوْلِهِمْ
أَقْبَابُ الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ١٧

كانت العرب حول مكة يغزوا بعضهم بعضاً ويتفاوون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فنكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم افتراؤهم على الله كذباً زعمهم إن لله شريكاً.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ يَلْحَقُ لَنَا جَاءَهُ
أَيُّسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ١٨

وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله ﴿لما جاءه﴾ تسفيه لهم يعني: لم يتلعموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يضح لهم صدقه أو كذبه ﴿اليس﴾ تقرير لثواتهم في جهنم كقوله: الستم خير من ركب المطايا، قال بعضهم: ولو كان استفهاماً ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن الهمة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثورن في جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا

(1) سورة فصلت، الآية: 40.

(2) سورة محمد، الآية: 17.

(3) نكحه الثعلبي وابن مردويه والواحد في التفسير، زيلعي /3

وجعل بيننا أجلاً أتأحبك عليه والمناجبة المرهنة فنأحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلنا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال:

فِي بَضْعِ سِتِّينَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْلِ وَبَعْدُ وَيَوْمِذٍ يَسْرُحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) يَنْصُرُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَنْصُرُهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥).

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخِيفُ اللَّهُ وَعَدَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَلْمُزُونَ عَنْهَا وَإِنَّ لِكُلِّ ذُنُوبٍ وَأَمْرًا يُؤْتَى بِهِ وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧).

﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفاً لأن معناه أعترف لك بها اعترافاً ووعد الله نكلاً وعداً لأن ما سبقه في معنى وعد.

نعم الله عز وجل يأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حنق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه، فيعلم أرى هو أم جيد وقوله: ﴿يعلمون﴾ بدل من قوله: ﴿لا يعلمون﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبطله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسدّه ليملك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله: ﴿ظاهراً من الحيوة الدنيا﴾ يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملأها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر⁽²⁾، وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و﴿غافلون﴾ خبره والجملة خبرهم الأولى وأن يكون تكريراً للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فنكرها مناد على أنهم معن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها، وأنها منهم تتبع وأليهم ترجع.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ (٨).

﴿في أنفسهم﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل: أو لم يحدثوا التفكير في أنفسهم أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك: اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك، وأن يكون صلة للتفكر كقولك: تفكر في الأمر وأجال فيه فكره و﴿وما خلق﴾ متعلق بالقول المحذوف معناه، ﴿أولم يتفكروا﴾ فيقولوا: هذا القول وقيل: معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلاً عليه ﴿إلا بالحق وأجل مسمى﴾ أي: ما خلقهما باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه

الْبَضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلناها مائة قلووس إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله ﷺ وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين⁽¹⁾ وقيل: كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من نرية أبي وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وإن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وقرئ: غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ: ﴿غلبت الروم﴾ بالفتح وسيغلبون بالضم، ومعناه: أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في إحدهما إضافة المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافته إلى الفاعل ومثالهما محرم عليك إخراجهم وإن يخلف الله وعده.

فإن قُلْتُ: كيف صحت المناجبة وإنما هي قمار؟ قُلْتُ: عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار، وقد احتجوا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف ﴿من قبل ومن بعد﴾ أي: في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني: أن كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نلتو لها بين الناس، وقرئ: ﴿من قبل ومن بعد﴾ علي الجز من غير تفسير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل: قبلًا وبعداً بمعنى: أولاً وآخرًا ﴿ويومئذ﴾ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم.

﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغیظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل: نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به المشركين من غلبة الروم وقيل: نصر الله أنه ولي بعض الظالمين بعضاً وفرق بين كلمهم حتى تقاتلوا وتناقصوا

== حتى يطابق المبدل منه، ودوي عن الحسن أنه قال: في تلاوته هذه الآية بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه، فيعلم أجيد هو أم رديء.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: التفسير، باب: من سورة الروم، (الحديث: 3193).

(2) قال أحمد: وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي =

قرئ: ﴿عاقبة﴾ بالنصب والرفع و﴿السواى﴾ تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى: انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم السواى إلا انه وضع المظهر موضع المضمرة أي: العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين و﴿ان كذبوا﴾ بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون بمعنى أي: لانه إذا كان تفسير الإساءة التكنيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادي وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر وهو ان يكون اسوا السواى بمعنى اقرتفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام.

اللَّهُ يَدْرَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾

﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي: إلى ثوابه وعقابه، وقرئ بالياء والياء الإيلاس أي: يبقى باسماً ساكناً متحيراً يقال: ناظرته فابلس إذا لم ينبس وينبس من أن يحتج ومنه الناقاة المبلّس التي لا ترغو.

وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبَيِّنُ لِلْمُتَرَمِّمِينَ ﴿١٧﴾

وقرئ: ﴿يبلس﴾ بفتح اللام من ابلسه إذا أسكته. ولم يكن لهم من شركائهم شعوتوا وكانوا يشركائهم كثيرين ﴿١٧﴾.

﴿من شركائهم﴾ من الذين عبدوهم من دون الله و﴿كانوا بشركائهم كافرين﴾ أي: يكفرون بالهيتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم، وكتبوا شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علماء بني إسرائيل وكذلك كتبت السواى بالف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبَيِّنُ لِلْمُتَرَمِّمِينَ ﴿١٧﴾

الضمير في ﴿يتفرقون﴾ للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضي الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في علبين هؤلاء في أسفل السافلين، وعن قتادة رضي الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٨﴾

﴿في روضة﴾ في بستان وهي الجنة والتكثير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفي أمثالهم أحسن من بيضة في روضة يريسون بيضة النعامة ﴿يحبرون﴾ يسرون يقال حبره: إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره، ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد

وهو قيام الساعة وقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون﴾ (١) كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثاً، والباء في قوله: ﴿إلا بالحق﴾ مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرّج، واللجام غير منكف عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به.

فإن قلت: إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناها؟ قلت: معناها: أو لم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير بون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي بذر أمرها على الإحسان إحساناً وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت، والمراد ببقاء ربهم: الأجل المسمى.

أَوْلَىٰ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَصَلَّاهُمُ بَالِغَاتٍ فَمَا كَانَ اللَّهُ يَرْظَاهُمْ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٩﴾

﴿أولم يسيروا﴾ تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم و﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض﴾ وحرقوها قال الله تعالى: ﴿لا نلول تثير الأرض﴾ (٢) وقيل: لبقر الحرث المثيرة وقالوا: سمي ثوراً لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أي: تشقها و﴿وعمروها﴾ يعني أولئك المدمرين و﴿أكثر مما عمروها﴾ من عمارة أهل مكة أهل وادي غير ذي زرع مالهم إثارة الأرض أصلاً ولا عمارة لها رأساً فما هو إلا تهكم بهم وبضعف حالهم في نبياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضاً ضعاف القوى فقوله: ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ (٣) وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر، فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشُّرَكَاءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِمُونَ ﴿٢٠﴾

(3) سورة فصلت، الآية: 15.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 115.

(2) سورة البقرة، الآية: 71.

رضي الله عنه يكرمون، وعن قتادة ينعمون وعن ابن
كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على
رؤوسهم، وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي ﷺ أنه
ذكر الجنة وما فيها من النعيم⁽⁷⁾ وفي آخر القوم أعرابي،
فقال: يا رسول الله هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم يا
أعرابي إن في الجنة لهنراً حافتاه الأبيكار من كل بيضاء
خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط
فذلك أفضل نعيم الجنة، قال الراوي: فسألت أبا الدرداء بم
يتغنين قال: بالتسبيح، وروي: إن في الجنة لأشجاراً عليها
أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله
ربحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك
الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لامتوا طرباً⁽²⁾.

رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا كَذِبًا بَيِّنَاتًا وَمِنَ الْأَجْرَةِ فَأْوَلُّكَ فِي الْمَدَابِ
مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

﴿محضرون﴾ لا يغيبون عنه، ولا يخفف عنهم كقوله:
﴿وما هم بخارجين منها﴾⁽³⁾ لا يفتّر عنهم لما نكر الوعد
والوعد أتبعه نكر ما يوصل إلى الوعد، وينجى من الوعد
والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء
والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من
نعمة الله الظاهرة، وقيل: الصلاة وقيل: لابن عباس
رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟
قال: نعم.

سَدَّ حَنَّ اللَّهِ حِينَ تُسْرَتُ وَجَيْنَ تُصِيحُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْحَمْدُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَيْنًا وَجَيْنَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

وتلا هذه الآية ﴿تمسون﴾ صلاتا المغرب والعشاء
﴿وتصبحون﴾ صلاة الفجر ﴿وعشيًا﴾ صلاة العصر.
﴿تظهرون﴾ صلاة الظهر، وقوله: ﴿وعشيًا﴾ متصل
بقوله: ﴿حين تمسون﴾ وقوله: ﴿وله الحمد في السموات
والأرض﴾ اعتراض بينهما ومعناه: إن على المميزين كلهم
من أهل السموات والأرض أن يحمدوه.
فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أن هذه الآية
مبنية! قلت: لأنه كان يقول: فرضت الصلوات الخمس
بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم،
والقول الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة وعن عائشة
رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم
رسول الله ﷺ المدينة أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة
الحضر⁽⁴⁾ وعن رسول الله ﷺ: «من سره أن يكال له
بالقفيز الأوفى فليلق﴾ فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون⁽⁵⁾، الآية، وعنه عليه السلام: «من قال حين

يُحْجُ أَلْحَى مِنَ اللَّيْلِ وَيُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ ﴿١٨﴾

﴿الحى من الميت﴾ الطائر من البيضة و﴿الميت من
الحى﴾ البيضة من الطائر، وإحياء الأرض إخراج النبات
منها ﴿وكنك تخرجون﴾ ومثل تلك الإخراج تخرجون من
القبور وتبعثون، والمعنى: أن الإبداء والإعادة متساويان في
قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من
الحى وإخراج الحى من الميت وإحياء الميت وإماتة الحى،
وقرى الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء.

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿خلقكم من تراب﴾ لأنه خلق أصلهم منه و﴿إذا﴾
للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتكم وقت كونكم بشرًا منتشرين
في الأرض كقوله: وبك منهما رجالاً كثيراً ونساء.

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾

﴿من أنفسكم أزواج﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم
عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو
من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين
الإنثيين من جنس واحد من الألف، والسكون وما بين
الجنسين المختلفين من التنافر ﴿وجعل بينكم﴾ التواد
والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة
معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة، أو
رحم وعن الحسن ري الله عنه المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كما قال: ورحمة منا وقال: نكر رحمة
ربك عبده، ويقال: سكن إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه
واطمأن إليه ومنه السكن وهو الألف المسكون إليه فعل
بمعنى مفعول وقيل: إن المودة والرحمة من قبل الله وإن
الفرك من قبل الشيطان.

وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْيَابِ الْأَرْضِ وَالْوُجُودِ

= وقصرها، باب: صلاة المسافرين، الحديث: (1 - 685).

(5) نكره الثعلبي في تفسيره، زيلعي 57/3.

(6) سورة الروم، الآية: 19.

(7) أخرجه أبو داود في كتاب: الأب، باب: ما يقول إذا أصبح،
(الحديث: 5076).

(1) نكره الثعلبي في تفسيره وابن عدي في الكامل، زيلعي 55/3.

(2) قال الزيلعي غريب، ورواه الثعلبي، 56/3.

(3) سورة المائدة، الآية: 37.

(4) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في
الإسراء، الحديث: (350)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين =

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَعْلِيَيْنَ ﴿١١﴾.

يكونا حالين أي: خائفين وطامعين. وقرئ ينزل بالتشديد.

وَمِن مَّا يَدْعُونَ أَن نَّكُونَ لَهُمْ سَمَاءً مِّنَ الْأَرْضِ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾.

ومن آياته قيام السموات والأرض واستمسكهما بغير عمد ﴿بأمره﴾ أي بقوله: كوننا قائمتين والمراد بإقامته لهما: إرادته لكونهما على صفة القيام بون الزوال وقوله ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بمنزلة قوله: يريكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال: ومن آياته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل:

دعوت كليباً دعوة فكانما دعوت به ابن الطود أو هو أسرع
يريد بان الطود الصدى، أو الحجر إذا تدهى وإنما
عطف هذا على قيام السموات والأرض بتم بيانياً لعظم ما
يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول: يا
أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا
قامت تنظر كما قال تعالى: ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام
ينظرون، قوله: دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون
مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول: دعوت زيداً من
أعلى الجبل فنزل عليّ ودعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ.
فإن قلت: بم تعلق ﴿من الأرض﴾ بالفعل أم بالمصدر!
قلت: هيئات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

فإن قلت: ما الفرق بين ﴿إِذَا﴾ و﴿وَإِذَا﴾؟ قلت: الأولى
للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب
الشرط، وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها.

وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّهُ قِنْدُونَ ﴿١٦﴾.

﴿قانتون﴾ منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون
عليه.

وَهُوَ الَّذِي يَدْرَأُ الْحَقْلَ ثَمًّا يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَيْنِي وَكَذَلِكَ نَمُوتُ
الْأَعْيُنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾.

﴿وهو أهون عليه﴾ فيما يجب عندكم وينقاس على
أصولكم ويقضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء
كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، وتعتدون للصانع إذا
خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم: أول الغزو أخرج
وتسمون الماهر في صناعته معاوداً تعنون أنه عاودها كرة
بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه.

الأسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عزراً
وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقتين
في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة
ولا لكنة، ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات
النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتوزيعها
ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو انفقت، وتشاكلت
وكانت ضرباً واحداً لوقع التجامل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية
فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في
المخالفة بين الحلي وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب
واحد وفرغوا من أصل فنوهم على الكثرة التي لا يعلمها
إلا الله مختلفون متفاوتون، وقرئ للعالمين بفتح اللام
وكسرهما ويشهد للكسر قوله تعالى: ﴿وما يعقلها إلا
العالمون﴾، هذا من باب اللف وترتيبه.

وَمِن مَّا يَدْعُونَ مَنَّا كُرِّيًّا يُبَالِئُ بِالنَّارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِن فَضِيلِهِ إِنَّكَ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾.

ومن آياته منامكم وابتغاءكم من فضله بالليل والنهار إلا
أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما
زمانان والزمان والواقع فيه بشيء واحد مع إعانة اللف
على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاءكم
فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني
ما دل عليه القرآن يسمونه بالأذان الواعية.

وَمِن مَّا يَدْعُونَ رَبِّيَكُمُ الْبَرْقُ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَيُنزِلُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾.

في ﴿يريككم﴾ وجهان إضمار أن وإنزال الفعل منزلة
المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعدي خير من أن
تراه وقول القائل: وقالوا: ما تشاء فقلت لهم، إلى الإصباح
أثر ذي أثر ﴿خوفاً﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف
﴿وطمعاً﴾ في الغيث وقيل: خوفاً للمسافر وطمعاً للحاضر
وهما منصوبان على المفعول له.

فإن قلت^(١): من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل
الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك! قلت: فيه وجهان
أحدهما أن المفعولين فاعلون في المعنى لأنهم راؤون، فكانه
قيل: يجعلكم راثنين البرق خوفاً وطمعاً والثاني أن يكون
على تقدير حذف المضاف أي: إرادة خوف وإرادة طمع
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ويجوز أن

== يكون الفاعل متصفاً به مثاله، إذا قلت: جئتكم إكراماً لك، فقد
وصفت نفسك بالإكرام، فقلت: في المعنى جئتكم مكرماً لك، والله
تعالى وإن خلق الخوف والطمع لعباده، إلا أنه مقتس عن
الاتصاف بهما، فمن ثم احتجج إلى تأويل النصب على المذهبين
جميعاً. والله اعلم.

(١) قال أحمد: الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وأثار
قدرته، وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما، وهي كونهما
مصدرين ومقارنين في الوجود، والفاعل الخالق واحد، فلا بد من
التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه، فنقول معنى قول
النحاة في المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل، أي: ولا بد أن ==

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي: القاهر لكل مقبور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول: لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده.

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾، وقال: الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول.

فإن قُلْتُ: أي فرق بين ﴿من﴾ الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿من أنفسكم﴾ ﴿مما ملكت أيمنكم من شركاء﴾؟ قُلْتُ: الأولى للابتداء كأنه قال: اخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه: هل ترضون لأنفسكم وعبيبتكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم ﴿فيما رزقناكم﴾ من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حرّ وعبد⁽³⁾، تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء ﴿كنلك﴾ أي: مثل هذا التفصيل ﴿نفصل الآيات﴾ أي: نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير، والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة.

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿الذين ظلموا﴾ أي: أشركوا كقوله تعالى: ﴿إنّ الشرك

فإن قُلْتُ: لم أخرج الصلة في قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ وقدمت في قوله: ﴿هو عليّ هين﴾ هناك قصد الاختصاص وهو مجرّه فقيل: هو عليّ هين وإن كان مستصعباً عندكم أن يولد بين هم وعاقرة وأما ههنا، فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أنّ الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغيير المعنى⁽¹⁾.

فإن قُلْتُ: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثم إذا دعاكم﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمرة، ثم هونت بعد ذلك؛ قُلْتُ: الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء⁽²⁾ وقيل: الضمير في عليه للخلق ومعناه: أنّ البعث أهون على الخلق من الإنشاء؛ لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقلّ تعباً وكبداً من أن يتنقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل: الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعل وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بدّ له من فعله لأنها لجزاء الأعمال، وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلاً خارج عن المقنور وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأنّ الصارف يمنع وجوه الفعل كما تمنعه الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعل، وإن لا يفعله وإما واجب لا بدّ من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به، فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع، وإذا كانت أبعداها من الامتناع كانت أدخلها في التاتي والتسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء ﴿وله المثل الأعلى﴾ أي: اليرصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به، ووصف في السموات والأرض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقنورات، ويدل عليه قوله تعالى:

- (1) قال أحمد: كلام نفيس يستحق أن يكتب بنوب التبر لا بالحبر، وإنما يلقي الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر، وقد علمت مذهبه في مثل ذلك. قال: في تقرير معنى قوله: وهو أهون عليه الأفعال، إما ممتنع عقلاً لذاته، وإما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله، وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا، وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأوّل من قبيل التفضل، أما الإعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء، فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع، لذلك وصفت بالتسهيل، وكانت أهون من الإنشاء.
- (2) قال أحمد: إنما يلقي في السؤال تعظيم الإعادة من عطفها بثم إذناناً بتغاير مرتبتها وعلو شأنها، وقوله في الجواب: إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص، فإنّ الإعادة نكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمرة وقيامها ابتداء، وإنشاء أعظم من الإعادة، فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن
- (3) قال أحمد: لقد ضلّ وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه، والحق أن لا واجب على الله تعالى، وكل ما نكره في هذا الفصل نزغات قدرية على أنها أيضاً غير مستقيمة على أصولهم المجتنة، فإنّ مقتضاها وجوب الإنشاء في الحكمة إذ لولا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع، وتلك المصلحة توجب متعلقها، فقد وضع أنّ المصنف لا إلى معالي السنة رقي، ولا في حضيض الاعتزال بقي فله العصمة.

لظلم عظيم⁽¹⁾ ﴿بغير علم﴾ أي: اتبعوا أمراءهم جاهلين؛ لأن العالم إذا ركب هواه ربما رده علمه وكفه، وأما الجاهل فهيم على وجهه كالهيمه لا يكفه شيء ﴿من أضل الله﴾ من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله، وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِن كَرِهَ النَّاسُ لِآبَائِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تَكُونُ

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه (حديث: 1358)، ومسلم في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد يولد على الفطرة، (الحديث: 22 - 2658).

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ فقوم وجهك له وعمله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسند إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه ﴿حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرت الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله.

(1) سورة لقمان، الآية: 13.
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (الحديث: 63 - 2865).

﴿الله﴾ مبتدأ وخبره ﴿الذي خلقكم﴾ أي الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره، ثم قال ﴿هل من شركائكم﴾ الذين اتخذتموهم أنداداً له من الأصنام وغيرها ﴿من يفعل﴾ شيئاً قط من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبتم إليه، ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم، وقوله ﴿من نلکم﴾ هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ؛ لأن معناه من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبثهم.

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَمْهُمْ يُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾

﴿الفساد في البر والبحر﴾ نحو الجذب والقحط وقلة الربيع في الزراعات والرياح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والفرق وإخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار، وعن ابن عباس أجذبت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا: إذا انقطع القطر عميت نواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الأمصار البحار، وقرئ في البر والبحور ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾، وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بان جلندي كان يأخذ كل سفينة غصباً، وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله ﷺ رجع راجعون عن الضلال والظلم، ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾! قلت: أما على التفسير الأول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحققاً ليعاقبهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه، وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع فكانهم إنما أفسدوا وتسببوا لفسو المعاصي في الأرض لأجل ذلك، وقرئ لئذيقهم بالنون.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانُوا أَكْثَرُهم مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم وذل بقوله: ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم،

السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة إلا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لأنه لا ولاء بينهم.

فإن قلت: كيف تعلق قوله ﴿فآت ذا القربى﴾ بما قبله حتى جيء بالفاء قلت: لما نكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه نكر ما يجب أن يفعل، وما يجب أن يترك ﴿يريدون وجهه الله﴾ يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أي يقصدون بمعرفتهم إياه خالصاً وحقه كقوله تعالى: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾، أو يقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة.

وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا يَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٤٣﴾

هذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿يحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء﴾^(١) يريد وما أعطيتم أكلة الربا ﴿من ربا ليربوا في﴾ أموالهم ليزيد ويزكو في أموالهم، فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ أي صدقة تبتغون به وجهه خالصاً لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة ﴿فاولئك هم المضعفون﴾ نورو الإضعاف من الحسنات، ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار، وقرئ بفتح العين وقيل: نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل، أو يهدي له ليعوضه أكثر مما وهب، أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه، أو يجز منفعة والذي ليس بحرام أن يستدعي بهبته أو بهبته أكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته، وقرئ: وما آتيتم من ربا بمعنى: وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا وقرئ: لتربوا أي: لتزيدوا في أموالهم كقوله تعالى: ﴿ويربي الصدقات﴾ أي: يزيدها وقوله تعالى: ﴿فاولئك هم المضعفون﴾ النفقات حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه، فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ماء ووجه آخر وهو أن يكون تقديره، فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذاً والأول أملاً بالفائدة.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن سِوَاهُ سُبْحٰنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾

نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض قال رسول الله ﷺ: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض⁽³⁾ وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك، ﴿ولتجري الفلك﴾ في البحر عند هبوبها. وإنما زاد ﴿بإمره﴾ لأن الريح قد تهب، ولا تكون مؤاتية فلا بد من إرساء السفن والاحتياط لحبسها وربما عصفت فأغرقتها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يريد تجارة البحر، ولتشكروا نعمة الله فيها.

فإن قلنا: بم يتعلق ولينيقم! قلنا: فيه وجهان أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى كأنه قيل: ليبشركم ولينيقمكم، وأن يتعلق بمحنوف تقديره ولينيقمكم وليكون كذا وكذا أرسلناها اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت نكر الانتصار والنصر نكر الفريقين، وقد أحلى الكلام أولاً عن نكرهما وقوله.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِك قَوْمِهِمْ لَمَّا هُمْ بِالْإِسْتِغْنَاءِ مِنْ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنوية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظهرهم، وقد يوقف على حقاً ومعناه وكان الانتقام منهم حقاً ثم يبدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي ﷺ: «ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة»⁽⁴⁾ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

اللَّهُ الَّذِي بَرَسِلَ الرِّيحَ فَنفِثُ مِنْهَا مَاءً يَسُّطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْعَلُ كِسْفًا مَرِّمٍ أَوْ دَوَّاقٍ يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ إِذَا أَسَابَ بِهِ مِنْ بَشَاءِهِ مِنْ
عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿فيسطه﴾ متصلاً تارة ﴿ويجعله كسفاً﴾ أي قطعاً تارة ﴿فتري الودق يخرج من خلاله﴾ في التارتين جميعاً والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى: ﴿وفرعها في السماء﴾، وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم.

وَلَنْ كَاتُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَلِيكٍ ﴿٤٩﴾
﴿من قبله﴾ من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدين فيها﴾⁽⁵⁾.

ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحکم ياسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك.

وَأَنْ مَا بُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي يَكُونُ سَبِيلاً لِنَدْوِكَ.

فَأَمَرَ رَجْعَكَ لِلرِّبِّ الْقَلْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٥٠﴾

القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج ﴿من الله﴾ إما أن يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردّه أحد كقوله تعالى: ﴿فلا يستطيعون ردها أو يمرّد على معنى، لا يردّه هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته، والمرّد مصدر بمعنى: الرد ﴿يصدعون﴾ يصدعون أي يتفرقون كقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾⁽¹⁾.

مَنْ كَفَرَ فَلَمَّا كَذَبَهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنبُشِرُهُمْ بِمَهْدُونَ ﴿٥١﴾

﴿فعلية كفره﴾ كلمة جامعة لما لا غاية وراه من المضار؛ لأن من كان ضارّه كفره فقد أحاطت به كلّ مضرّة ﴿فلائفسهم يمهدون﴾ أي: يسون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يهد فرشه، ويوطئه لثلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينص عليه مرقدّه من نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذي الرائد، ويجوز أن يريد، فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزّه.

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ قَبْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾

﴿ليجزى﴾ متعلق بـ﴿يمهدون﴾ تعليل له ﴿من فضله﴾ مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه؛ لأن الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب، وتكرير ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح، وقوله: ﴿إنه لا يحب للكافرين﴾ تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ بُشِيرَاتٍ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَلِتَجْرِيَ
الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَأَنْبُشِرُوا مِنْ قَبْلِهِ وَكَلَّمَ تَشْكُرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿الرياح﴾ هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة، وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»⁽²⁾، وقد عند الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبخارة بالغيث وإذابة الرحمة وهي

(1) سورة الروم، الآية: 14.

(2) أخرجه أبو يعلى، (الحديث رقم: 2456).

(3) قال الزيلعي غريب، 60/3.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم (الحديث رقم: 1931)، وأحمد في المسند 6/449.

(5) سورة الحشر، الآية: 17.

ضعافًا ونلك حال الطفولة والنشء حتى بلغت وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاحتمال وبلوغ الأشد، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل: من ضعف من النطف كقوله تعالى: ﴿هَمَّ مَاءٌ مَّهِينٌ﴾⁽²⁾ وهذا الترييد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر.

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤْتُوا عَذْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ⁽³⁾.

﴿الساعة﴾ القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وببينة كما تقول: في ساعة لمن تستعجله وجرت علمًا لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة، وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا: لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة⁽⁴⁾ وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم، وإنما يقترنون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم أو ينسون أو يكتبون أو يضمنون ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل ذلك الصنف كانوا يصرفون عن الصنق والتحقق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق، أو مثل تلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة.

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلِيمًا وَالْإِنْسَانُ لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّكَ بَيِّنٌ بَلِيغٌ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ⁽⁵⁾.

القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ربًا ما قاله وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة، ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم ﴿فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه.

يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ⁽⁶⁾.

فإن قلت: ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت: هي التي في قوله، فقد جئنا خراسانا، وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال: إن صح ما قلت من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث، فهذا يوم البعث أي: فقد تبين بطلان قولكم، وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ قرى بالياء والياء ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: استعنتني فلان فاعتبتني أي: استرضاني فأرضيته وذلك إذا

تَأَنَّقَرَ إِلَيْنَا مَا نَشَرَّ رَحِمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُمَيُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجَى السُّوقِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁽⁷⁾.

قرى: أثر وأثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني: أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم ﴿وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المقنورات قادر وهذا من جملة المقنورات بلليل الإنشاء ﴿فَرَأَوْهُ﴾ فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجح الضمير إلى معناه؛ لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يُكْفَرُونَ⁽⁸⁾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الْعُمْمَةَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ⁽⁹⁾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ⁽¹⁰⁾.

ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و﴿لَظَلُّوا﴾ جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه: ليظنن نهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربروا أنقائهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحًا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله، فقفنوا وإن يشكروا نعمته ويحمدهوا عليها فلم يزيبوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه، فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورًا وحرجفًا، فكلتاها مما يصوح له النبات ويصبح هشيمًا وقال مصفرا؛ لأن تلك صفرة حائثة وقيل: فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر. قرى: بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قرأتها على رسول الله ﷺ من ضعف فأقراني من ضعف⁽¹⁾.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ⁽²⁾.

وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ كقوله: خلق الإنسان من عجل يعني: أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي: ابتدأناكم في أول الأمر

(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، سورة الزمر، باب: «ونفخ في الصور فصعق...» (الحديث رقم: 4814)، ومسلم في كتاب: الغتن، باب: ما بين النفختين (الحديث رقم: 141 - 1955).

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: القراءات، باب: ومن سورة الروم (الحديث رقم: 2936) وأبو داود في كتاب: الحروف والقراءات (الحديث رقم: 3978).

(2) سورة السجدة، الآية: 8.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان مكية

اللَّهُ ۝ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰتٰكَ الْكِتٰبَ الْحَكِيْمَ ۝

﴿الكتاب الحكيم﴾ ذي الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة بعد.

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِيْنَ ۝ اَلَّذِيْنَ يُؤْتِيْكَ مِنْ رِّبِّكَ مِنْ رَّحْمَةٍ وَّيُؤْتِيْكَ الزُّكُوَّةَ وَهُمۡ بِالْآخِرَةِ مُمۡ بُوْفُوْنَ ۝ اُولٰٓئِكَ عَلٰٓى هٰذِيْ سَبِيْلٍ وَّاُولٰٓئِكَ هُمۡ الْمُفْلِحُوْنَ ۝

﴿هدى ورحمة﴾ بالنصب على الحال عن الآيات والعمل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ﴿للمحسنين﴾ للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الألعي:

الذي يظن بك الظن كان قدراى وقد سمعا
حكى عن الأصمعي أنه سئل عن الألعي فأنشده ولم
يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص
منهم القائلين بهذه الثلاث بفضل اعتداد بها، اللهم كل
باطل الهى عن الخير وعمما يعني.

وَيٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰتٰكَ الْكِتٰبَ لِيُصَلِّىَ عَلٰٓى سَبِيْلِ اللّٰهِ بَعِيْرَ
عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُرُوْا اُوْلٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذٰبٌ مُّبِيْنٌ ۝

﴿ولهو الحديث﴾ نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقى وما أشبه ذلك وقيل: نزلت في النضر بن الحرث، وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود، فإنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل: كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي ﷺ: لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن⁽²⁾ وعنه ﷺ: «ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر

كنت جانياً عليه، وحقيقة أعتبته أنلت عتبه ألا ترى إلى قوله:

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النصار فاعتبوا بالصيلم
كيف جعلهم غضاباً، ثم قال فاعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب، والمعنى لا يقال لهم: أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى: ولا يخرجون منها ولا هم يستعتبون.

فإن قلت: كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله: وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين؟ قلت: أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه، فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته ﴿ولقد﴾ وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها.

وَلَقَدْ صَرَّرْنَا لِتٰسِ فِيْ هٰذَا الْفُرْقٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَّكِيْنَ جِنَّهَمۡ
يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰتٰكَ الْكِتٰبَ اِنَّ اِنَّهٗ اِلَّا مُّبٰطِلُوْنَ ۝

وقصصنا عليهم كل قصة عجبية الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جنتهم بأية من آيات القرآن قالوا: جنتنا بزور وباطل.

كَذٰلِكَ يَطَّعُ اللّٰهُ عَلٰٓى قُلُوْبِ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝

ثم قال: مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الإطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعا من علم أنها لا تجدي عليه، ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو، ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين إياها فكانه قال: كذلك تقسو وتصدا قلوب الجهلة حتى يسموا المحققين مبطلين، وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة.

فَاصْبِرْ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَّلاَ يَسْتَحْفِكُ الَّذِيْنَ لَا يُؤْتُوْنَ ۝

﴿فاصبر﴾ على عداوتهم ﴿إن وعد الله﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حق﴾ لا بد من إنجازها والوفاء به، ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ: بتخفيف النون، قرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب ولا يستحقنك أي: لا يفتنك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته»⁽¹⁾.

(1) نكره الثعلبي وابن مردويه والواحدى في التفسير، الزيلعي 63/3.

= المغنيات (الحديث رقم: 1282)، وأحمد في المسند 264/5.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: البيوع، باب: ما جاء في كراهية بيع=